بريته (غرامته) التي قرش من كيس البلد ونصابهُ . فقوّى قلبهم . وانا جيت الى بيتي وقاموا الخواجكيّة كلهم وجو (وجاؤوا) يوم الاربعاء عند السحر . وراح الكركي عند الامير واشتكى عليّ وكنت في البسط في آخور بيت القاضي فجاء الچاويش خلفي (اي جاء يدعوني) وقال لي: الامير يريدك. فرحت معهُ. وودّاني برّاني الى الزنجير (١ (لهُ بقيّة)

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(محمّد سليم القصاب) ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمّد سليم بن انيس الشهير بالقصّاب حسن. طبع له ديوان في دمشق في مطبعة الجمعيّة الخيريّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) فمن اقوالهِ الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ:

لمّا بأرض الشام حلّ ركابهُ ... ناديتُها باهي البلادَ وفاخري
أنعِم بنا فالوم جلّق اصبحت ... دار الخلافة وهو عبد القادر
يا دوحةً طابت مغارسها فلم ... تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كامرِ
من كل شهم في الانام تحسّدٍ ... يسمو الى علياء كلّ مفاخرِ
مولاي محي الدين مصباح الهدى ... ذاك العليّ الشأن احمد شاكرِ
فكأنّهم لمّا تبدّوا حولهُ ... اقمارُ تمٍّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرم بهِ فرعاً يُفاخر فرعهُ ... باصولهِ فالكُ السماء الدائرِ
لا زال في اوج المدارج نجمهُ ... يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

١) الى هنا كان الناقص من نسختنا الاصلية فاستعرناهُ من نسخة القس يعقوب حلو جي

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة الملّة سنة ١٢٩٦

هذه غرفةُ انسٍ ازلفت في رُبى الشام نمرُ الناظرينْ
قد بدت ازهارها تثني على بِدْحَتَ العلياء صدر الاعظمينْ
شادها للملّة الغرّاء قُلْ قادخلوها بسلام آمنينْ

ومن رثائه قولهُ في وجيه قومهِ حسين بَيْهم لمّا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨:

هوى الكوكب الدرّي من أفق العلى فجرٌ القضا ذيل الظلام وأسبلا
سحاب كسى بيروت بُرد حدادها وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها وقد اصبحت من بعدهِ جسداً بلا . .
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسّلا
اقيموا بني الآداب واجب نَعْيهِ فلم يبقَ ما للنفس ان تتململا

وختم للرثاة بقوله:

فلمّا دعاهُ الله جلّ جلالهُ الى جنّة الفردوس لبّى مهلّلا
فقال بشير النور تاريخهُ زها حسينُ المعالي فرّ في جنّة العلا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ:

يا الشام الّا جنّة الامصارِ ترهو بغوطتها على الاقطارِ
حصباؤها الدرُّ النضيدُ وترْبها م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسناً فاخضر بنا نتشقّ شذا الازهارِ
قد هبّ فيها الريحُ يرقص غصنها والطيرُ غنّى في عُلى الاشجارِ
وتفجّرت فيها المنابعُ انهاً ذوْبُ اللُجَيْن بجدول الانهارِ
هي موطني دون البلاد وبَيْتي فيها انتعاشي وانقضا اوطاري
يا شامُ انتِ شامةُ الدنيا التي قد فاح عنبرُ طيبها المطارِ

(السيّد محمود حمزة الحسيني) هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرّان ترقي نسبها الى الحسين. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ وفيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠—١٨٨٧) واكبَّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيّة فاصبح فيها اماماً ومعظم مصنّفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان. ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيّة لوالدهِ وعُرف بحُسن الخطّ . وكان السيّد محمود رجلاً مهيباً جليل القدر كريم الطباع تولّى الإفتاء في دمشق دهرًا طويلاً وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة

١٨٦٠ مروَّة اجازتهُ عنها الدولة الفرنسويَّة ببيبة سنيَّة. وقد اجتمعنا مع السيِّد محمود في دمشق غير مرَّة فلقينا منهُ شيخًا واسع المدارك غزير الاداب. ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديرهِ للمشروعات الادبيَّة. وفيهِ يقول محمَّد القصَّاب بمدحهِ

مفتي الانام سليل المجد ملجأنا ... تاج النظام فخار الفخر ذو الهمم
ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ ... بالامر والنهي والاحسان والكرم
بحر المعارف بالامواج زاخرهُ ... يلقي لنا درهُ الارشاد والحكم
في كلّ فنٍّ لهُ باعٌ يصيد بهِ ... ما شتَّ ادراكهُ عن حاذق فهم

(الامير عبد القادر الجزائري) نختم ذكر ادباء اسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر بحسيني آخر عاش زمنًا طويلًا في دمشق وان لم يكن اصلهُ منها نريد السيِّد الاجل والامير العظيم عبد القادر الجزائريّ فانهُ وان كان من رجال السيف الَّا انهُ كان ايضًا من فرسان القلم. كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) درس العلوم اللسانيَّة في حداثتهِ على اساتذة وهران ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصَّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافيًا لاهانةٍ لحقت هناك بسفير ملكهم كارلوس العاشر واعتلوا جهاتها فانتشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال نرفع عن اوطانهم وكانت تلك الحرب سجالًا تارةً لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئ الامير بعدها الى التسليم فسلَّم واتى من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وبعثت لهُ راتبًا سنويًا ثم تنقَّل مدَّة في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتخذ لهُ دمشق سكنًا في سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (حزيران ١٨٨٣) ومن مبرَّاتهِ جازاهُ الله خيرًا دفاعهُ عمَّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة الاف. وكان الامير عبد القادر مغرى بالعلوم محبًّا للعلماء يعظِّمهم ويحسن اليهم. قيل انهُ كان يبلغ ما يوزِّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر. ولهُ تآليف مفيدة في التصوُّف وعلم الكلام وبعض كتب ادبيَّة منها «ذكر العاقل وتنبيه الغافل». انتهُ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤). وقد نقلهُ الى

الفرنسويَّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائده رائيَّة اوَّلها:

أسعودُ جاء السعد والخَيْرُ واليُسرُ ... ولَّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ

ومنها قصيدة حماسيَّة كان يتمثَّل في معاركه باحد ابياتها الفخريَّة:

ومن عادة السادات بالبيض غمتي ... وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ ابطالي

ومن ابياته الفخريَّة قولهُ يذكر فيها احد ايَّامه لمَّا حارب الفرنسويين:

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمَّعا ... ولا فخر الَّا ما لنا يرفع اللوا
مناقب مقتارية قادريَّةٌ ... تسامت رعاسيَّةٌ مجدَها احتوى
فان شئتَ علماً تلقني خير عالمٍ ... وفي الروع اخباري غدت توم القوى . . .
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ ... دماء العدى لمَّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق النطاح(١ انطاعنا ... غداةَ التقينا كم شجاع لهم لوى
وكم هامةٍ ذاك النهار قدَدْتها ... بحدّ حسامي والقنا طعنهُ شوى
واشقر تحتي كنَّتهُ رماحهم ... ثمانٍ ولم يشكُ الوجى بل ولا التوى
يوم قضى نحبًا اخي فارتقى الى ... جنانٍ لهُ فيها نبيّ الرضى اوى
فما ارتدَّ من وقع السهام عنانهُ ... الى ان أتاهُ الفوز رغمًا لمن عوى

ومنها في وصف الحرب:

واسيافنا قد جُرّدت من جفونها ... ولا رُدَّ الَّا بعد وردٍ بها الروا
ولمَّا بدا قرني يسناهُ حربهُ ... وكفّي بها نارٌ بها الكبشُ قد شوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا ... يولي قواناهُ حسامي بما هوى
شددت عليهم شدَّةً هاشميَّةً ... وقد ورددوا ورد المنايا على النوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتابًا ضخمًا . ومما قيل فيهِ لاحدهم:

بحر المعارف والدواوف والندى ... ذو الحكمة العليا الكريم العنصر
مولى بنيه بو الزمان وحبهُ ... ان لم يفز بنظيره مذ اعصر

﴿ ادباء مصر ﴾ لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام واشرنا الى سبب ذلك في ما تقدَّم . على انَّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزي كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربيَّة نائلة للحسنات السبق في القطر المصري رغمًا عمَّا اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرَّ به ارباب الامر ومن ثم

(١ خنق النطاح مكان قريب من وهران حارب فيه جيش الفرنسويين

انشأوا سنة ١٣١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممّن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذته الشيخ (مصطفى المروسيّ) الذي تولى ست سنين (١٢٨١—١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقاديّة أحكام الفاكهة في انواع الفنون المتفرّقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) ومنهم الشيخ (محمّد المهدي العبّاسي) ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) واشتهر في العلوم الدينيّة وصارت اليهِ رئاسة الافتاء في الديار المصريّة واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلّدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٨) فقال بعضهم مؤرخاً لوفاته .

عليهِ دمع الفتاوى باتَ منحدرًا وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدّ
فيا المسائل قد باتت تؤرّخهُ مات المجيب الامام المقتدي المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوى المهديّة

ومنهم الشيخ (محمّد الانبابي) ألّف عدّة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرّج على يديهِ كثيرٌ ممّن تصدّروا للتدريس . وتولّى مشيخة الازهر مرّتين . كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤ — ١٨٩٦)

ومنهم (الشيخ عليش) احد مشايخ السادة المالكيّة في مصر ولد بالقاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢ — ١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه وكتاب مواعظ

ومنهم (حسين بن احمد المرصفي) كان مكفوفاً وبلغ باجتهادهِ الى ان يدرّس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبيّة الى العلوم العربيّة والكلم الثمان في الادب توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩ م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدّهم المصريّون كاركان النهضة العلميّة في وطنهم في العشرين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

(عبد الله باشا فكري) هو احد نوابغ الناشئة المصريّة في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقاً في الحجاز للجنود المصريّة سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلّع في كل علم وقلّدتهُ الحكومة المصريّة المناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف . وكان سار قبلها في رفقة الخديوي

اسماعيل باشا الى استنبول سنة ١٨٦١ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا واخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمّة احسن قيام. ولمّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنّف للدارسين كتبًا يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضّ الحكومة حتى انشأت للكتبة الخديويّة التي تُعَدُّ من اغنى الخزائن الكتبيّة بالمخطوطات والمآثر العربيّة. ولمّا حدثت الثورة العرابيّة سنة ١٨٨٢ ألقي القبض على عبد الله باشا فكري وبقي مدّة تحت الاستنطاق الى ان عرفت براءتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدة:

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاءه معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليَّ تقوّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنت من يبغي مدى عمرهِ الشرّا
نعفوًا ابا العبّاس لا زلتَ قادرًا ... على الامر انَّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبيَ ما قد مرَّ من ضنك شهرٍ ... تجرّعتُ فيها الصبرَ اطعمهُ مرًّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طولهِ شهرا
أيجمل في دين المروّة انّني ... أكابد في ايّامك البؤس والعُسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة:

ألا انَّ شكر الصنع حقٌّ لمسلمٍ ... فشكرًا لآلاء الخديوي المعظّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ وفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ساشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... يراعي او استولى على منطقي فمي
فلا زال محروسَ الحمى متمتّعًا ... مع الخيرة الاشبال في خير أنعُمِ

وتجوّل عبد الله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام. ولمّا عُقد في استركهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٨ اوفدتهُ الحكومة لنيابة عنها وزار معظم الحواضر الاوربيّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد الالبّاء الى محاسن اوربّا لكنَّ المنون عاجلهُ فتوفي قبل اتمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ. وقد خلّف عبد الله باشا فكري آثارًا ادبيّة جليلة كنظم اللآلي في الحكم والامثال والمقامة الفكريّة في المملكة الباطنيّة والفوائد الفكريّة للمكاتب المصريّة جمع فيهِ فصولًا تهذيبيّة حسنة لناشئة وطنهِ ولهُ شرح على ديوان حسّان بن ثابت لم يتمّهُ وقد جمع ابنهُ كثيرًا من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريّة

وصفنـاهُ في المشرق (١ : ١٨٩) وكان المترجم بارعًا بالنظم والنثر راسخ القدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيّة فاستخدمهُ خديويّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيّة والعربيّة الى الملوك والسلاطين. ومن حكمه قولهُ:

اذا رُمتَ المروّة والمعالي وأن تلقى إلٰه العرش بَرًّا
فلا تقرب لدى الخلوات سرًّا من الافعال ما تخشاهُ جَهْرا

وقال يصف مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة:

نادِ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً بحديثها تتفادمُ الاعصارُ
جمعت لسانَ مرّةٍ ممدودةٍ في الدهر لا يُنسى لها تذكارُ
متآلفين بعبدهم بقريبهم والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيّاض القريحة وردُهُ عذبٌ وبحرُ علومهِ زخّارُ
ومؤزَّرٍ بالفضل مشتملٍ بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملكُ الفضل معمورَ الذرى بذويهِ ممدودًا لهُ الاعمارُ

وكان اسعد الله باشا ولد تقصّى اثار والدهِ اسمهُ (امين باشا فكري) درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلدهِ فتعاطى فن الدعاوي وبرَزَ فيهِ حتى رقّتهُ الحكومة المصريّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظة الاسكندريّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيّة لكنَّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦. ومن تركتهِ العلميّة كتاب مطوّل في جغرافيّة مصر والسودان. وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم فانجز سفر رحلة ابيهِ كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضًا فضلًا عمّا تقدّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الّا القليل

(علي باشا مبارك) هو ايضًا احد اركان النهضة المصريّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريّة الدقهليّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلّبت بهِ الاحوال الى ان توفّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأُرسل الى باريس فدرس فيها فنّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ ثم انتدبتهُ الحكومة المصريّة لوكالات وظارات ودواوين مختلفة ابدى فيها جميعًا عن مقدرة عظيمة وقد خدم الآداب العربيّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة

دار العلوم وفتح المكتبة الخديويّة وتولّى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمّة وفي آخر حياته اعتزل الاعمال الى سنة وفاته ١٣١١ (١٨٩٣) ولهُ تآليف ذات شأن اجلّها الخطط التوفيقيّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستّة مجلّدات. ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب طمّ الدين في عدّة اجزاء على طرز رواية ادبيّة عمرانيّة اودعهـا كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافيّة والهندسة والطبيعيّات وغير ذلك ممّا قرّب الى قرّائهِ فهمهُ بعرض شهي

(الشيخ الايباري) هو الشيخ عبد الهادي نجا الايباري احد الكتبة المدودين في اواخر القرن السابق. ولد في ايبار في جهـات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والدهِ مبـادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما ولم يزل يكدّ ويجدّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الّا القليلون من معاصريهِ فعهد اليهِ الخديوي اسماعيـل باشا تثقيف اولادهِ وتصدّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعلهُ الخديوي توفيق باشا إمام المعيّة ومفتيها فقام بمهامّ رتبتهِ الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجلّهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصرهِ وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحسب في كتاب الوسائل الادبيّة في الرسائل الاحديّة. ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب سمود المطـالع في مجلّدين ضمّنهُ كلامًا واسعًا في ضروب العلوم العربيّة. ومنهـا كتابهُ تتمّ الاكمام في مثلّثات الكلام كمثلّثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوانب والبرجيس كحكم ليفصل المناظرات اللغويّة التي قامت بينهما فكتب كتابهُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوانب فنظم احمد فارس قصيدتهُ اندلاسيّة التي يقول فيها:

ابدى لنا في مصر نجمًا ثاقبًا ... لكن ثناهُ بكل مصر هادِ
فبهِ الفوائد والفرائد فُصّلت ... وموصولة البرهانِ بالاسنادِ
ان قـال لم يترك لقوّالٍ مدًى ... او صال صال وطال كلّ مُصادِ
هو فيصلٌ في الحكم يرضى فصلهُ ... من كان لم يقنع من الاشهادِ
لولاهُ لم يُقطع لسـانُ المفتري ... عنّي ولم يُفصّل جدالُ جلادِ
فلذاك كان على الجوانب مدحهُ ... حقًّا وايصابًا مـدى الآبادِ

(الشيخ عليّ الليثي) كان من اشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠

وصرف همّتهُ الى العلوم اللغويّة والادبيّة فصار منشئاً بليغاً وشاعراً مفلقاً حتى نظمهُ أولو الامر في سلك رؤساء المعيّة السنيّة ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ١٢٩٠ ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ . وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفاً عليهِ في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨٩٦ (١٣١٣ ه). ولهُ منظومات جمّة يُجمع منها ديوان الّا انّها لا تزال متفرّقة فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ غداةَ انتقت مولى بهِ الفضل يكملُ
كأنَّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ بكسب النفوس العاليات تجمّلُ
فتمَّ لها من منتقى الدرّ حليةٌ جا العالمُ العُلْويُّ انّا جئنَ

ومنها في وصف العقيد:

لقد كان ذا برٍّ عطوفاً مهذّباً سجاياهُ صفوُ القطر بل هي اسهلُ
رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبّب الى كلّ قلبٍ حيثُ كان مبجّلُ
كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ عظيم المزايا اذ يقولُ ويفعلُ
شمائلهُ لو قسّمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجمّلوا
فقدنا حياهُ ولكنَّ بيتنا بديع مزاياهُ جميلٌ نتمثّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسهِ سنة ١٢٩٠:

دعْ ذكر كسرى وقيصرٍ ان اردتَ ثنا عن قيصر الروم حيثُ النفعُ مفقود
واشرحْ مآثر من سارت بسيرتهِ وكاتب المجد تحدوها الصناديدُ
مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ظلُّ العدالة في الآفاق ممدود
عبد العزيز الذي آثارهُ حُمدت ابُ الأُلى جذّهم في المجد محمودُ
اجاد نظم امور الملك في نسقٍ لا يعتريهِ مدى الازمان تبديدُ
وشاد فوق الذي اركانه قعدا لهُ على هامة الجوزاء تثبيدُ
فلا تَعِبْهُ باسلافٍ لهُ كرمتْ والشبلُ من هؤلاء الأُسد مولودُ
ففخرُهم عقدُ درٍّ وهو واسطةٌ في جيد آل بني عثمانَ معقودُ

ولهُ اللاميّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيّة مستعطفاً مستصفحاً عن الجُناة:

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوّلْ فالْزم الصبرَ اذ عليهِ المعوّلْ
يا فؤادي استرح فما الصبرُ الّا ما بهِ مظهرُ القضاء تمثّلْ
قدَرٌ غالبٌ وسرُّ الحتمايا فوق عقل الاريب مهما تكمّلْ
ربَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممّن ظنَّ بالسعي للعلى يتوصّلْ

(السيد عبد الله نديم) هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنه فأنشأ عدة جرائد سياسية كان يزرع فيها بذور آماله وينهض هممَ مواطنيه حتى لُقّب بخطيب الشرق. ولما ثارت الفتنة العرابية نُفي من وطنه ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطر الى مغادرة بلاده فتوجّه الى الاستانة ونال الحظوى لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينية سنة ١٣١٤هـ. وكان مولدهُ بالاسكندرية سنة ١٢٦١ (١٨٤٤—١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيباً لسناً متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفنناً في الكتابة نثراً ونظماً له ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغوية وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم. فمن اقواله ما ذمّ به الخمرة:

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزتْ تُقنّعهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ اذ ضحكتْ على الاذقانِ
ذلّت لدولة حكمها دول الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خفّت فطارت بالعقولِ وخلّفت تلك الجسوم بحالة الحيرانِ
ايُّ المحاسنِ ابصروا في وجهها وهي الشيقة من قديم زمانِ
امُّ الخبائث بنتُ عاوج الهوى اخت المشاتش زوجة الشيطانِ
من زفّها من خدرها لفؤادهِ صرعتْهُ عند مزالق الاطيانِ
واذا تستّر في ترشّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لبستْ بهِ عن مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطاراً بخارياً:

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيّرا شكلاً كطَوْدٍ بالبخار مُسيَّرا
دوماً يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديدِ قلب بالنهيب تسعّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيدهُ وجداً فيجري في الفضاء تستُّرا
تلقاهُ حالَ السير أفعى تلتوي او فارس الهيجا اثار الغبّرا
او سبع غابٍ قد احسَّ بصائدٍ في ثابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انّما شهبٌ هوت من افقها او قبّة المطارِ تنفذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة:

اذا ما المجدُ نادانا اجبنا فيظهرُ حين ينظرنا حنينا
فانّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنّا نُحينا ان نُحينا .

وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينـا
وان شئنا سلبنا كلّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المشتهينـا

(محمّد عثمان جلال) هو ابن يوسف الحسني الوناني ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغره اللغات في مدرسة الالسن في حيّ الازبكيّـة ثم دخل سنة ١٢٦١ (١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزاراتهـا الى ان استوزره توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلتهِ الى جهـات القطر المصري فكتب تأليفهُ السياحة الخديويّة وتقلّد القضاء في محكمـة الاستئناف وأُحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨. وللمترجـم عدّة تآليف: نقل بعضها من الافرنسيّة كرواية پول وڤرجيني وكامثال لافونتين نظمهـا بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالًا منها وهو مثل البخيل والدجاجة

كان البخيل عندهُ دجاجهْ تكفيهِ طول الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يومٍ سرَّ تعطيهِ العجَبْ وهي تبيضُ بيضةً من الذهَبْ
فظنَّ يومًا انَّ فيها كنزا وانهُ يزداد منهُ عزًّا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ وكان في يمينهِ سكِّينُ
وشقَّها نصفينِ من غفلتهِ اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لَقَبَه بل رمّةً في حجرهِ مريبه
فقال لا ذنبَ بأنَّ الطمعا ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمّد عثمان يحبُّ اللغة المصريّة العاميّة فنقل اليهـا عدّة روايات تمثيليّة عن الشاعرين راسين وموليـار تصرّف فيها بعض التصرّف ومن ظريف شعرهِ قولهُ يمدح الحضرة الخديويّة العباسيّة سنة ١٣٠٩:

مَنْ يضاهيكَ في العلى مَنْ يُدانِي يا عزيزًا لهُ علينا يَدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا ض بإنعامهِ على البلدانِ

ولهُ في رثاء عبدالله باشا فكري:

همامٌ علا فوق السماك بفكرهِ فمن ثمَّ سمَّتهُ الافاضلُ بالفكري
فتىً غاص في بحر المدارس رأيهُ فاخرج من حصبائهِ غالي الدرِّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ فانضج اثمارًا على يانع الزهرِ

زها فجسهُ دهرًا بمصر فلم يَجدْ قرينًا ولكن لا امان الى الدهرِ
ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها جمشتهِ لا بالجهاز ولا المهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيّة لهفةٌ بملوهِ الوهبيّ يحكي ليزدجر (١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضّلةً من فضل زيد على عمرو
قرا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ اورث الناب شبلَهُ ولا كان هذا الناب يخلو من الزأرِ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممّن تخصّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنّفوا فيها المصنّفات المفيدة. منهم (محمود باشا الفلكي) ولد سنة ١٢٢٠ في مديريّة الغربيّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلّب في المناصب الخطيرة وتولّى وزارة المعارف وقد عُرف خصوصاً بتآليفهِ الفلكيّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيّة لاسيما العربيّة ووصف مقياس النيل ولهُ ايضاً بعض التآليف الاثريّة كرسالتهِ في الاسكندريّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنّف بعض هذه التآليف في الافرنسيّة فحلّ بين علماء الافرنج محلًّا اثيرًا

ومنهم (محمّد مختار باشا) كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديّة وترقى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان. وكان متضلعاً بالعلوم الفلكيّة والرياضيّة ألّف فيها عدّة تآليف بالعربيّة والافرنسيّة. ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة وسائل حسنة

ومنهم (محمّد علي باشا الحكيم) ولد سنة ١٢٢٨ في مديريّة المنوفيّة وتوفي في الحبشة سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧). درس العلوم الطبيّة فنال منها حظًّا وافرًا الى ان تعيّن رئيساً للمدرسة الطبيّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربّا. ولمّا انتشبت الحرب المصريّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار مع الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي. ولهُ تآليف طبيّة في فنون الجراحة وقانون طبيّ ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثلهُ في الطبّ والجراحة (الدكتور درّي باشا) الذي ولد وتوفي في

١) اراد يزدجرد وهو اردشير فرخّمهُ

القاهرة (١٢٥٧—١٣١٨=١٨٤١—١٩٠٠) ودرّس في مدرسة القصر العيني وألّف التآليف المشهورة في الطبّ كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنّف غير ذلك ايضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرّية في مآثر العائلة الخديويّة. وفيه قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ :

لو ثلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني ... في مدحِ من شئت الّا ناظم الدُّرَرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسري فليس الى ... شيءٌ يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان ألمَّت بي الاسقامُ في زمنٍ ... لم استطبَّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... الّا ونادى بهِ يا كاشف الضرّ

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيّات والموسيقى الشرقية (شفيق بك) ابن منصور باشا يكن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدّة بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

(البقية لعدد آخر)

لمعة تاريخيّة في اديار ماردين

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لما كان قد اتى على تشييد دير مار افرام السرياني في ماردين خمسة وعشرون عاماً بعثت الرغبة حضرة رئيسهِ الجليل ورهبانهِ الموقرين ان يقيموا ثمة حفلة ينوّهون فيها بايامهم الاولى التي قضوها فيهِ بالنسك والعبادة فخطر لنا في هذه المناسبة ان نكتب كلمة في تاريخ الدير المذكور بعد ان نقدّم عليها لمحة في ما كان في مدينة ماردين وسناجقها من الاديار في القرون الخوالي

نشوء الاديار في ما بين النهرين

ان ما زيّن بهِ النساك بلاد المشرق من المآثر الباهرة منذ منسلخ القرن الثالث للتجسّد يستوجب شكراً وافراً وثناء عاطراً ولاسيما مقدامهم اوجين الذائع الصيت الذي بارح بريّة الصعيد واقبل بعدد وافر من الزهّاد الى بلاد ما بين النهرين فبشّروا